الفصل العاشر

المواجهة من الداخل فى ظل الاستعمار

● خطة عامة . ووسائل متشابهة :

حين يفترس الاستعمار بلداً إسلامياً . فإنه يعيث فيه فساداً بوسائل مختلفة ومناسبة « جداً » للبلد الذى خضع لسلطانه ويصوِّب سهامه للقضاء على الإسلام فى ذلك البلد ، أو النَيْل منه بقدر المستطاع . والخطة العامة التى يتبعها المستعمرون هى نقل الحضارة الغربية لديار الإسلام ، وإحلالها محل الحضارة الإسلامية إذا كان ذلك مستطاعاً ، أو مزج الحضارتين معاً بحيث تنماع « الشخصية الإسلامية » للبلد المستعمَر ، أو تزول نهائياً إذا أمكن ذلك .

ويترتب على ذلك إذابة المجتمع الإسلامى فى قوالب الحضارة الغربية الخالصة ، أو الحضارة الممزوجة « الجديدة » وهذا هو الغالب كما ينبىء عنه الواقع ، حضارة لا شرقية ولا غربية (؟) وتتغير أنماط العقائد والفكر والسلوك ، بإحلال قِيَم جديدة محل القِيَم الإسلامية الأصيلة .

إنهم - المستعمرين - يقومون بعلميات « غسيل مخ » تخرِّب الشباب المسلم من « الداخل » وإن بقى فى ظاهره مسلماً عن طريق الوراثة والموطن وشهادة الميلاد .

ويعجبنى تعبير قرأته لأحد حكماء المسلمين فى الهند ، يقول فيه : « إن الشرقى - يعنى المسلم والعربى - إذا أراد القضاء على عدوه « شج

رأسه » ، أما الغربى فإنه يُبقى على حياة عدوه ، ولكنه يميته موتاً آخر فيغيِّر عقله وقلبه » (؟!) .

كلام حكيم فعلاً . وقد أدرك الاستعمار وأعوانه من المبشِّرين والمستشرقين خطورة هذا المنهج ، فطبَّقوه بكل حرص لمسخ المجتمعات الإسلامية مسخاً « معنوياً » وحققوا بممارسته من رغباتهم ومطامعهم ما عجزت عن تحقيقه قنابلهم ومدافعهم وصواريخهم وقواتهم الضاربة براً وبحراً وجواً .

ومن فضول القول أن نعيد : أن أوروبا أدركت أن سر قوة المسلمين واعتزازهم وانتصاراتهم المذهلة - يوم كانوا مسلمين بحق - إنما هو الإسلام ، والإسلام وحده . فاسمع إلى أحد مستشرقى أوروبا وهو « شاتليه » إذ يقول لقومه فى كتابه : « غزو العالَم الإسلامى » : « إذا أردتم أن تغزوا العالَم الإسلامى ، وتخضدوا شوكته ، وتقضوا على هذه العقيدة التى قضت على كل العقائد السابقة (عليها) واللاحقة لها . والتى كانت السبب الأول والرئيسى لاعتزاز المسلمين وشموخهم . وسبب سيادتهم وغزوهم للعالَم .. عليكم أن توجهوا جهود هدمكم إلى نفوس الشباب المسلم ، والأمة الإسلامية ، بإماتة روح الاعتزاز بماضيهم وتاريخهم ، وكتابهم : القرآن (؟!) وتحويلهم عن كل ذلك بوساطة نقل ثقافتكم وتاريخكم ونشر روح الإباحية ، وتوفير عوامل الهدم المعنوى . وحتى لو لم نجد إلا المغفلين منهم والسذج البسطاء لكفانا ذلك (؟!) لأن الشجرة يجب أن يتسبب لها فى القطع أحد أغصانها » (ص ٢٦٤) .

يرسم المستشرق « شاتليه » طرفاً من الخطة العامة التى يجب أن تمارَس بين المسلمين عن طريق « الرفع والإحلال » : رفع كل ما هو من صميم الإسلام : عقيدة وخُلُقاً وسلوكاً .. وإحلال كل ما هو غربى مدمر لكيان المسلم . أو مسخ المسلم داخلياً بقتل إسلامه ثم تركه يحيا كما تحيا الأنعام بل هو أضل .

ويمكن الإشارة إلى المحاور أو الوسائل التى يستعملها أعداء الإسلام لتحقيق مخططاتهم فيما يأتى :

التربية والتعليم - التشريع - وسائل الإعلام - الاقتصاد - الطائفية - إحياء الحضارات القديمة السابقة على الإسلام - شئون المرأة - الفنون والآداب والثقافة العامة - الاحتفاء بالمارقين عن الأصالة - تولية شئون البلاد لقيادات لا دينية مع منحهم الألقاب الخادعة - تكوين عملاء وطنيين يروِّجون لسياسة المستعمر .. إلخ . إلخ .

وما من بلد إسلامى خضع للاستعمار إلا اتبع الاستعمار هذه السياسة فيه حسب الظروف المواتية لكل بلد ، وهم يحرصون على تأصيلها فى النفوس لتؤدى دورها حتى بعد رحيل الاستعمار . إذ ليس المهم عندهم أن يبقوا فى البلد المستعمَر طوال الدهر ، بل المهم أن تبقى حضارتهم وخططهم ؛ وهذا هو الواقع الملموس الآن فى كل البلاد الإسلامية التى عاش بها الاستعمار حيناً من الدهر . ثم رحل .

* مخاطر التعليم :

ففى مراحل التعليم المختلفة يجد خصوم الدعوة المجال فسيحاً لغرس مبادئهم إما فى أسلوب سافر ، أو طرق ملتوية ، وأول ما يولونه عنايتهم هو لغات الغزاة ومحاربة اللغة العربية ، بإشاعة التهم المنفرة حولها ، فهى مرة لغة معقدة صعبة . وقواعدها جافة ، وأساليبها بالية عنيفة ، ومرة أنها لم تعد تصلح للحياة العصرية . ولذلك ينبغى أن تنزوى فى ركن محدود من الحياة : لغة صلاة وتراتيل دينية . أما لغة الغزاة فهى اللغة الأولى فى التعليم كما حدث للغة الفرنسية فى شمال غرب إفريقيا ، وكما حدث للإنجليزية فى مصر فى عهد الاحتلال . وإن كان لا بد من لغة عربية على نحو ما فاللهجات العامية تكفى لخفتها وخلوها من القواعد والرسوم ؛ والهدف من القضاء على اللغة العربية الفصحى هو عزل الأجيال الحاضرة والآتية عن الإسلام .

وتمضى الخطة فى طريقها فتوظف كتب القراءة والمطالعة كبدائل لاهية فتعرض فيها موضوعات تافهة تمجد القومية والوطنية والقيَم الزائفة ويُنأى بها عن الموضوعات الجادة التى تحمى العقيدة والخُلق والفكر الأصيل والسلوك القويم ،

وتسهم بما اختير لها من موضوعات فى خلق جيل ضيق الأفق ، محدود الصلة بدينه وتاريخ أمته .

وفى المواد العلمية تُدرس النظريات المهيئة للإلحاد بعناية ، وتُعرض على أنها حقائق علمية ثابتة كنظرية « داروين » فى التطور والانتخاب الطبيعى .

*

* أما فى التشريع :

فكما مرَّ بنا من قبل ، يبدأ المستعمرون بإلغاء العمل بالشريعة الإسلامية ، وإحلال القوانين الوضعية محلها ، سواء أكانت مستوردة خالصة ، أو محلية قائمة على مبادىء القانون الوضعى الذى أرست أصوله الثورة الفرنسية تحت شعار برَّاق أطلقوا عليه الديمقراطية يزعم أن الأُمة أو الشعب هو مصدر السلطات . فالأمة أو الشعب هو الذى يسن القوانين ويعدِّلها حسب هواه ، ويولى مَن يقوم بتطبيق تلك القوانين . فالحاكمية - مطلقاً - للأمة أو الشعب ، ويعتمدون فى هذا الزعم على نظرية وهمية تخيلها « چان چاك روسو » . فآمن بها الغرب تم نقلها إلى الشرق الإسلامى فارتمت فى أحضانها كثير من دوله وآمنوا بالوهم « الچان چاك روسو » . وطافوا حول كعبته وصَلُّوا إليها ونسوا حظاً مما ذكَّرهم به ربهم فى القرآن الأمين ، وقام عليه أمر الأمة حيناً من الدهر . ومبدأ « الأُمة مصدر السلطات » أول مَن عرفه فى التاريخ هم المسلمون ، ثم نقلته أوروبا وحرَّفته فضلَّت وأضلت ؟!

فالحكم بما أنزل اللّه واجب ، وهو السمة التى تفصل بين الحكومة الإسلامية الواجبة الطاعة ، والحكومة اللا إسلامية . وإن ارتفعت فيها المآذن ، ودوِّى فى أرجائها الأذان خمس مرات فى اليوم ، وأقيمت فيها الصلاة ، وتُلِىَ فيها القرآن ، وحج القادرون من أبنائها واعتمروا ؛ لأن الإسلام كلٌ لا يقبل التجزئة ، وهو كما قال الأستاذ محمد أسد - الذى كان مسيحياً فأسلم ؛ لأن الإسلام جذبه إليه جذباً - قال ذلك الرجل بعد دراسة متأنية ومستوعبة للإسلام فى كتابه « الإسلام على مفترق الطرق » : « ليس فى الإسلام شئ غير مُحتاج إليه ،

ولا الإسلام محتاج إلى شئ ليس فيه ، وإنما يؤتى الإسلام ثماره إذا أُخِذَ كله » [١] .

والاستعمار حين ألهى المسلمين ببدائل عن الإسلام ، ومنها القوانين الوضعية التى أحلّها محل الشريعة ، قد أوقع المسلمين وقادتهم فى حَرَج أمام اللّه ورسوله . ولسنا ندرى ماذا هم قائلون لربهم وهم يتلون قوله تعالى :

﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ ﴾ [٢] .

﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [٣] .

﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ ﴾ [٤] .

ونتيجة لعمل الاستعمار الدءوب فى هذا المجال (التشريع) فقد تحللّت معظم البلاد الإسلامية من التشريع الإسلامى ، ووضعت مكانه تشريعات وضعية هزيلة ، ترى ذلك فى مصر ، وسوريا ، والعراق ، وتونس ، والجزائر ، والسودان ، واليمن ، وليبيا ، والمغرب ، والأردن ، ثم البلاد الإسلامية غير العربية ، إلا مَن عصم اللّه .

*

* جنايات الإعلام :

ومن وسائل الإعلام بذل الاستعمار ، ويبذل أعوانه - الآن جهوداً مكثفة لمسخ الشخصية الإسلامية ، وطبع المجتمعات الإسلامية بالطابع الغربى فى كل كبيرة وصغيرة . وإعلامنا أصبح له موقف ثابت من بعض الظواهر ، فإذا تعارض اتجاهان أحدهما محافظ على الأصول الإسلامية ، والآخر متمرد عليها فإن إعلامنا يُلقى بكل ثقله لمناصرة الاتجاه المتمرد .

---

(١) انظر : كتابه ص ١٥

(٢) المائدة : ٤٤

(٣) المائدة : ٤٥

(٤) المائدة : ٤٧

وإذا شذَّ مفكر أو كاتب وانحرف عن الجادة ، وتطاول على شريعة الله ، أو أحلَّ حراماً فسرعان ما يقف الإعلام بجانبه ويُضفى عليه من الألقاب ما يكون مدعاة لتصديقه ، وهو دائماً - أعنى الإعلام - مصبوغ بصبغة غربية ، ويفتح أبوابه على مصاريعها لكل فكر مضاد باسم حرية الرأى أو التقدمية . ويضيق كل الضيق بالآراء التى تصوِّب الخطأ ، وتعرِّى الباطل . وهنا تجد لدى الإعلام أُذناً من طين وأُذناً من عجين ، ويضع على عينيه عصابة فلا يرى ولا يسمع ولا يتكلم ؟!

ومن مساوىء الإعلام اهتمامه بالفنانات والفنانين ، والممثلات والممثلين ، ونشر الصور العارية المثيرة لنزوات الشباب وبخاصة المجلات الأسبوعية . بالإضافة إلى الإلهاء المستمر بالأبواب الثابتة عن الفنون والكرة وتسليط الأضواء على الأشخاص الذين لا يؤدون دوراً إيجابياً فى حياة الأمة ، وكأنهم هم الناس كل الناس . ولا تقيم شأناً للجادين والمكافحين كفاحاً حقيقياً فى الحياة .

هذا ، وقد ترك الاستعمار من ورائه كراهية شديدة لذوى الميول الدينية ، وقد ورث الإعلام عنهم هذه الكراهية فتراه يلاحق هؤلاء بالمطارق والفئوس ، ويترصدهم ويسخر منهم إما بالرسوم الكاريكاتيرية والنكات اللاذعة . وإما بنشر المقالات الطويلة والمتتابعة للتشنيع على هؤلاء المتطرفين والرجعيين .

فالتمسك بالدين وآدابه عند الإعلام رجعة إلى الوراء .. ؟ وعبادة الله والدعوة إلى طاعته عند الإعلام هوس دينى .. ؟! والخروج عن الدين وآدابه تحرر ومعاصرة وخفة دم ؟!

والدعوة إلى انسلاخ الأمة عن قيمها وتولية وجوهها شطر الغرب وحضارته تفتح وانطلاق .. ؟!

وقد ساعد على أن يقوم الإعلام بهذا الدور الخطير فى الترويج لمخططات خصوم الدعوة أن كثيراً من العاملين فى حقول الإعلام فى البلاد الإسلامية مخدوعون بالغرب وحضارته إلى أبعد مدى ، ويغلب على رؤساء المؤسسات

الإعلامية أن ثقافتهم نفسها ثقافة مدنية ، تلك التى رسم مناهجها الاستعمار قبل رحيله ، وسارت البلاد عليها مع تطور طفيف . ولم يتفق لقُطر إسلامى أن تولّى رياسة مؤسسة إعلامية فيه رجل مثقف ثقافة دينية . فكيف تتوقع من أُمّىٍّ فى الدين أن يصونه ويرعاه فيما يُنشر وما يُقال عنه فى المؤسسة التى هو يرأس مقاليد الأمور فيها ؟!

وبقيت حقيقة ينبغى أن نعيها كل الوعى ، وهى أن نصارى الشام كانوا هم الروّاد فى مجال الإعلام الصحفى فى العالَم الإسلامى العربى وهم إما خريجو الجامعة الأمريكية ببيروت ، وإما خريجو الجامعات الغربية أصلاً . وهم مشبعون بالمبادىء التبشيرية والاستشراقية وكانوا - كما يقول البرت حورانى فى كتابه الذى صدر عام ١٩٦٢ ، وهو (Thougrt in The liberalage Arabic) - أسبق أبناء العرب إتصالاً بالثقافة الغربية وساعدهم على ذلك حذقهم المبكر للغة الإنجليزية واللغة الفرنسية .

ومنهم مَن نزح إلى مصر ، وأصدر بها صحفاً أو مجلات مثل : سليم وبشارة تكلا اللذين أسسا جريدة « الأهرام » عام ١٨٧٦ ، ويعقوب صروف وفارس نمر صاحبى جريدة « المقتطف » ، وجورجى زيدان صاحب مجلة « الهلال » . فالإعلام الصحفى فى البلاد الإسلامية العربية كانت له منذ البداية ميول للحضارة الغربية ، ولم يستطع الإعلام الإسلامى العربى - حتى بعد تفلته من الأيدى الصليبية - أن يتخلص من تلك الميول إلى الآن . ولو كان قد قُدِّر للإعلام الإسلامى أن يقف موقفاً موالياً للأصالة الإسلامية لأمكنه - بقوة تأثيرة - أن يغيِّر وجه التاريخ المعاصر فى الشرق . ولكن هل يستقيم الظل والعود أعوج ؟! واليوم يزداد الإعلام الإسلامى عنفاً وضراوة ضد المسائل الإسلامية حين اكتظت أروقته بالأقلام والقيادات العميلة من الماركسيين والعلمانيين سواء أكانوا يعملون فى مؤسساته ، أو يكتبون من الخارج ، بغية التخريب والتغريب !

وما أكثرهم وما أجرأهم ولا يخدعنك أن بعض الصحف ، أو البث الإعلامى المرئى أو المسموع يخصص جانباً من نشاطه للموضوعات الدينية ، فإن الباعث على هذا - وبخاصة فى الصحف - الرغبة فى اجتذاب القرّاء ، وبخاصة فى ظل الصحوة الإسلامية المعاصرة . ويستوى عندها - أعنى الصحافة - الأبواب الأسبوعية التى تنشر خلالها مواد دينية ، وأبواب الكلمات المتقاطعة مثلاً . فكلاهما يلبيان حاجة القرّاء ، بصرف النظر عن الإيمان بصدق التوجيه .

إن تاريخ الإعلام عندنا مؤسف .. والثقة فيه مفقودة . وخدمته لأهداف أعداء الأمة أكثر مرات من خدمته لأهداف الأمة الحقيقية . وجناياته على مصالحها العليا هى أبرز ملامحه منذ وُجِدَ وإلى الآن .. ؟!

*

* الإفساد الاقتصادى :

فى العالَم المعاصر مذهبان اقتصاديان كبيران وضعهما الفكر البَشرى الخالص ، الذى لم يستند إلى أصول شرعية سماوية . وإنما مستنده معايير وضعية تقوم على الاختيار والتحسين النسبيين ، عملاً بفلسفات ونظريات أرضية ، يقف بعضها من بعض موقف النقيض من النقيض وهما :

المذهب الاقتصادى الرأسمالى ، وهذا المذهب مرتبط الآن بالغرب المسيحى ، والمذهب الاقتصادى الشيوعى ، وهذا مرتبط منذ وُجِدَ بالإلحاد ؟

المذهب الأول (الرأسمالى) : يُطلق الحريات لأصحاب رءوس الأموال إلى أبعد مدىً . ويسلّم لمالك المال بالحرية المطلقة فى طريقة استثماره وإنفاقه وتحديد الأسعار والفوائد على القروض ، وتحديد الأجور لمن يعملون لديه . وليس على أصحاب رءوس الأموال حقوق نحو غيرهم . وملكيتهم للمال مقدّسة لا تُمَس ؟!

والمذهب الثانى (الشيوعى) : لا يبيح للأفراد مِلْكية خاصة للمال . بل إن

المالك الوحيد هو الدولة . وعلى الأفراد القادرين على العمل أن يعملوا فى حقول الدولة ومؤسساتها الصناعية ، وينال كل فرد نصيباً من المال من خزانة الدولة مناسباً للعمل الذى يؤديه لحسابها ؟!

ولا نريد - هنا - أن نتوسع فى ذكر المساوىء أو المحاسن ، وإنما نشير إشارة خاطفة إلى ما يأتى :

إن جَماع المساوىء فى النظام الاقتصادى الشيوعى أنه يحرم الأفراد من حق طبيعى - إن صح هذا التعبير - ويقضى على المواهب الإنسانية والتنافس فى العمل البنّاء لخير الفرد والجماعة ، ويحوّل الإنسان إلى « آلة صمّاء » تعمل بجبرية قاسية فى « ترس » القهر الشيوعى ، وإن جَماع المساوىء فى النظام الرأسمالى أنه يجعل من أصحاب رءوس الأموال أصناماً أو أنصاف آلهة إن صح - كذلك - هذا التعبير ، يسيطرون برءوس أموالهم على مجارى الحياة ، ويتحكمون فى سوق العرض والطلب كما يشاءون . ويتعاملون مع المحتاج إليهم بالربا المركّب الفاحش . فيبيعون المال بالمال (أعنى النقود بالنقود) وهذه بدعة بَشرية هى آفة الاقتصاد العالَمى . فليست النقود سلعة تُباع وتُشترى ، وإنما هى وسيلة لتبادل المنافع التى تقوم عليها ضروريات الحياة وعن طريق « بيع النقود » فى النظام الربوى يقع الظلم الفادح على المحتاجين لحساب أصحاب رءوس الأموال .

فكلا النظامين مخالف لسنن الفِطرة التى فطر اللّه الناس عليها ، أحدهما أهدر المِلْكية الخاصة تماماً ، والثانى بالَغَ إلى أبعد مدى فى تقديسها . وما فى كل من النظامين من مزايا هزيلة يقابله كم هائل من المساوىء الجسام .

● منهج الإسلام دين العدل والرحمة :

أما الإسلام فيقوم منهجه الاقتصادى على عدة مزايا تتسق مع الفطرة الإنسانية :

فأساس الكسب فيه هو العمل الشريف المشروع .

والمالك الحق هو اللّه وحده .

والمِلْكية الفردية أو المِلْكية الخاصة فيه مصونة ، ومَن مَلك مالاً فهو خليفة فيه عن اللّه لا مالك له مِلْكية خالصة .

ومراد الإسلام من مِلْكية اللّه لكل مال كف مالكيه عن الطغيان فيه . فلا يتصرفون فيه جمعاً ولا إنفاقاً إلا حسب الشروط التى وضعها المالك الواهب سبحانه . فجمع المال يكون عن شروط مشروعة ليس منها الغش ولا الظلم .

وإنفاق المال يكون فى البر والنفع المشروع لا فيما حرّمه اللّه ، ومَن خالف فجمع مالاً من غير وجهه ، أو أنفقه فى غير وجهه فهو مسئول أمام المالك الحق يوم يقوم الحساب . فقد ورد فى الحديث أن من أول ما يُسئل عنه المرء يوم القيامة ماله من أين جمعه . وفيمَ أنفقه ؟

وفى المال إذا بلغ حداً معلوماً حق لأصحاب الأعذار الثمانية المذكورين فى قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ .. ﴾ (١) وهذا هو الإنفاق الواجب المحدَّد المقدار ، ثم فيه حقوق أخرى ليست مرتبطة بأمر سوى أن تظهر حاجة ملحة عامة أو خاصة فيجب على مُلاَّك المال الإنفاق بقدر الطاقة فى تجهيز الجيوش ، أو بناء المؤسسات ذات النفع العام ، أو وقف بباب المالك سائل أو محروم .

ومَن استقرض مالاً من غنى وكان المال فائضاً عن حاجته الضرورية فالقرض يكون حسبة لوجه اللّه لا فى مقابل يبذله المقترِض قَلَّ أو كثر إن كان المقابل مشروطاً بين الطرفين ، ولصاحب المال أن يستثمره وفق الشروط المشروعة فى تجارة أو صناعة ، أو زراعة ، إما بوصفه فرداً أو شريكاً لغيره .. أما أن يكون القرض بربا طريقاً من طرق الاستثمار فى الإسلام فلا ، سواء أكان المقترض

---

(١) التوبة : ٦٠

شخصاً طبيعياً احتاج المال (قيمة القرض) للإنفاق منه على بعض شئونه ، أو كان شخصاً اعتبارياً كالمصارف والبنوك والمؤسسات التى تتجر فى المال . تستقرضه بفائدة ثم تَقرضه بفائدة أعلى . وتستأثر هى بالفروق بين الفائدتين ، هذا النظام روّجه وزيّن له اليهود فى الغرب ، وأثروا ثراءً فاحشاً من ورائه . وقام عليه الاقتصاد الغربى الرأسمالى المعروف ، فلما بسط الغرب نفوذه على البلاد الإسلامية أدخل فيها هذا النظام ليحل محل التوجيه الاقتصادى فى الأموال . وفى كل بلد دخله الاستعمار تدفقت رءوس الأموال الأوروبية لتُستثمر فى البلاد الإسلامية عن طريق المؤسسات (البنوك والمصارف) الربوية التى اتخذت من النقود سلعة تُباع وتُشترى . وبفضل هذا النظام وقعت البلاد الإسلامية فى قبضة « سلاّخيها » المستعمرين عن طريق تراكم الديون التى أسهم فى تراكمها نظام الربا أو الفوائد المركّبة ، التى أسموها - زوراً وبهتاناً - بـ « الأرباح المركّبة » ؟!

وسيأتى لهذا شئ من التوضيح والبيان . والذى نركّز عليه الآن أن شيوع الاقتصاد الربوى فى البلاد كان سببه المباشر هو الاستعمار . ولما رحل الاستعمار ظل النظام الربوى مصدراً من مصادر الاقتصاد القومى . وارتبطت قيمة الأوراق المالية يومياً بأسعار البورصة العالَمية فى لندن . وقتلوا روح العمل والإنتاج عند صغار الملاّك ومتوسطيهم ، فاتجهوا برءوس أموالهم للمصارف التى تعطيهم نسبة محدّدة من رءوس أموالهم بعد مرور زمن على إيداعها فى تلك المصارف ، كما أحدثوا نوعاً من الجشع عند محبى الثروات فاتجهوا يستقرضون من تلك المصارف بفوائد مركّبة ليُنشئوا لهم مشروعات صناعية أو تجارية عن طرق الأموال المستقرضة . ثم يحمّلون قيمة الفوائد على ثمن مبيعاتهم فتغلو الأسعاد ويرتفع الغلاء . ويحتاج الناس إلى الاستدانة ولو بقرض ليمكنهم أن يجاوروا موديلات الأسعار . وتحقق فى المجتمعات الإسلامية التى شاع فيها التعامل الربوى وعيد الحق سبحانه وتعالى : ﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا ... ﴾ (١) .

---

(١) البقرة : ٢٧٦

ووعيده : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ (٢) .

*

* الطائفية :

من أخطر الأسلحة التى أضعف بها الاستعمار العالَم الإسلامى سلاح الطائفية والتشرذم . فقد كان لهذا السلاح دور خطير فى بعض البلاد التى ظروفها قابلة لإشعال هذا الفتيل ، ولا نريد من الطائفية ذلك المعنى التقليدى الذى يأخذ فى الاعتبار التمييز فى العقيدة والدين حين يشعل الفتن فى البلد الواحد . بل نريد منه ما هو أعم من ذلك حتى يشمل النُظم الحزبية السياسية ، أو المذاهب الفكرية فى الكيان الواحد ، مثل أهل السُنَّة والشيعة ، ومثل حزب كذا ، وحزب كذا ، واليمين واليسار ، ومثل إيجاد الحزازات بين أهل إقليم وأهل إقليم آخر ، ومثل أنصار القديم وأشياع الحديث . إن هذه المثالب تدخل فى معنى الطائفية ، وكلها قد استثمرها الاستعمار فى تفتيت الجبهة الداخلية وضرب بعض القُوَى ببعض ، وهو قابع وراء الكواليس يحرِّش ، ويحرِّض ، ويتفرج . يشجع مَن يشجع لحاجة فى نفس يعقوب ، ويخذل مَن يخذل لحاجة فى نفس يعقوب ، كل ذلك عملاً بتلك السياسة التى راجت لدى الإمبراطورية البريطانية حيناً من الدهر وهى سياسة « فَرِّق تَسُدْ »

وقد استفادت القُوَى الاستعمارية كثيراً من اتباع هذا الأسلوب وأخصب الأقطار استجابة له كانت الهند ، ثم مصر ، ثم لبنان ، وسنعرض لما جرى فى مصر والهند فى شئ من التفصيل فيما بعد . أما فى لبنان فإن المستعمر - كما نعلم - خلق من المارون قوة ذات مخالب وقواطع فى لبنان . وكان قد هال المستعمر اتحاد القوى الوطنية فى الشام مسلمين ومسيحيين ودروز حين قاوموا

---

(١) البقرة : ٢٧٨ - ٢٧٩

غزو محمد على باشا الكبير لسوريا . فى النصف الأول من القرن التاسع عشر فقد تناسى الشاميون أعراقهم وعقائدهم ووقفوا وقفة واحدة أمام قوات « الباشا » قبل تقسيم الشام إلى أربع دويلات : سوريا ، والأردن ، ولبنان ، وفلسطين . كان اتحاد الشاميين فى تلك المرحلة نذير شؤم للشام نفسه . حيث جاء قرار التقسيم فيما بعد قاصماً لظهر البعير . ووقعت لبنان من نصيب فرنسا الدولة الصليبية المتعصبة . ولم تكن كراهية فرنسا للمسيحيين بالطبع ، وإنما كانت وما تزال للمسلمين وحدهم سُنّة وشيعة وغيرهما . يظهر هذا جلياً من المنشور الذى وزعته فرنسا - سراً - على نصارى لبنان . وباللغة الفرنسية عام ١٩١٣

وقد نشرت مجلة رابطة العالَم الإسلامى بمكة المكرمة ترجمة عربية للمنشور نضعه - الآن - بكامله بين يدى القارىء الكريم .

وكان عنوان المنشور هكذا : « من الدولة الأم إلى أبنائها المخلصين .. إلى أبناء يسوع المسيح : يا من صبرتم على الذل والهوان عبر القرون دفاعاً عن عقيدتكم [١] . أيها الشرفاء الأطهار لا تنسوا هذه الوصايا العشر :

١ - قد رتبنا لكم أهم الأشياء التى تضمن لكم معيشة حسنة على هذه المنطقة ، مثل تمليك الأراضى ، والوكالات الأجنبية ، والوضع السياسى ، وشئون النقد (المصارف المالية) ويبقى عليكم أن تحافظوا على هذه المكاسب ، وزيادتها مع الأيام (؟!) .

٢ - إن هذا الوطن (لبنان) لم يُخلق إلا لكم ، حتى تجمعوا شملكم وتباشروا حريتكم ، بعد الحرب الخيرة التاريخية . فاعلموا جيداً أن كلمة لبنانى معناها : مسيحى . أما العرب الذين جاءوا من الصحراء (يعنى المسلمين) فيجب أن يعودوا إليها (؟!) .

---

(١) لم يقاتل المسلمون أحداً لإخراجه عن عقيدته . وإنما أعداء الإسلام هم الذين يقاتلون المسلمين لإخراجهم عن الإسلام .

٣ - جاهدوا للسيطرة على المصايف ، وأمور السياحة وامتلاك ساحل البحر ، وأخرجوهم (المسلمين) من قراكم كلما أصبحتم أغلبية ولا تنسوا تجهيز ميناء احتياطى فى مدينة غير بيروت ، ولا يكون فيها مسلمون (؟!) وذلك عندما تسنح لكم الفرص (؟!) [١] .

٤ - عليكم بأسباب القوة من رياضة وسلاح وتنظيمات للشباب واهتموا بالجيش ، وعليكم بكتمان أموركم (؟!) .

٥ - احرصوا على الزعامة الأدبية ، مثل نشر الكتب ، والسيطرة على النقابات والاتحادات ، ولا تعترفوا بأن تراث لغتكم وتاريخكم ملك للمسلمين . وحاربوا بلا هوادة الأفكار والأشخاص الذين يعاكسون اتجاهكم (؟!) .

٦ - إن الخلافات المذهبية بينكم يجب أن لا تخرج عن النظرية السطحية لأن حياتكم مرهونة باتحادكم أمام العدو الكافر (المسلمون) من حيث أنكم أبناء يسوع الذى علّمنا المحبة (؟!)

٧ - ادرسوا - دائماً - مخططات الآخرين (المسلمون) وتدَخَّلوا معهم لتعرفوا ما عندهم (؟!) ولا مانع للبعض من التظاهر بتأييدهم عند الضرورة . ولكن على كل واحد منكم أن يبقى مرتبطاً برؤسائه وكنيسته (؟!) .

٨ - ارفعوا رءوسكم فى كل مكان مرتفع ، واعلموا بأن كل القُوى الجبارة فى العالَم تساعدكم ، وتقف لجانبكم فى أسرع وقت (؟!) ولكن عليكم أن تتصرفوا وكأنكم لا تعرفون ذلك .. (؟!!!) .

٩ - اجتهدوا للتقرب من ملوك العرب ورؤسائهم بالخدمات الشخصية (يعنى اصطناع الود معهم) وهذا شئ سهل جداً ولكن يفتح لكم مجالات واسعة للعمل ، ويدر عليكم أموالاً هائلة ونفوذاً أكبر حتى فى البلدان المستعصية عليكم (؟!!) .

---

(١) لعل المقصود من هذا الميناء السرى أن يتلقى منه المارون المعونات الاقتصادية والعسكرية .

١٠ - إن حركة الجنسية اللبنانية شديدة الأهمية ، فدققوا كثيراً فى ذلك ، واهتموا بإخوانكم المغتربين ، والذين نزلوا عليكم من البلدان الأخرى ، حتى لا تضيع الأغلبية المقررة لكم .. ألا جدوا كل الجد » .

هذه صورة أو وثيقة من الوثائق المعبِّرة فى وضوح عن كراهية أوروبا الصليبية للإسلام والمسلمين ، وإثارتهم الفتن والاضطرابات فى كل بلد إسلامى يقبل وضعه مثل هذه الفتن . ولم يثبت لا فى التاريخ القديم ولا الحديث أن المسلمين اضطهدوا النصارى مثلما تحرص الآن الدول الصليبية على اضطهاد المسلمين . والخطير فى الوثيقة أن تكشف فى وضوح عن أن دول الغرب الصليبى كلها على أهبة الاستعداد لمناصرة مسيحيى لبنان إذا لزم الأمر . وهذا يؤكد لمن كان له عقل أن أوروبا إذا وجدت فرصة سانحة للقضاء على الإسلام والمسلمين فإنها لن تتأخر لحظة واحدة . كما يؤكد أن مثل هذه الوعود والضمانات التى تقدمها القُوَى الجبارة فى العالَم (الصليبى) لنصارى لبنان هى وراء الموقف المتعنت للمارون والطوائف المسيحية فى لبنان من رفض أية تسوية عادلة للنزاع الدائر فيها منذ عام ١٩٧٦ مرحلة من مراحل ذلك الموقف المتعنت قادها الفريق « چورچ حبش » حيناً من الدهر ، والمرحلة الراهنة يقودها « العماد عون » الذى رفض بشكل قاطع مقررات الطائف ، وهدد الحكومة التى ستقوم وفقاً لها بأنها لن تعيش طويلاً ؟!

ومن التضليل التاريخى أن تؤكد الوثيقة لنصارى لبنان أن لبنان (وطن) لم يخلق إلا لهم . وأن على العرب - يعنى (المسلمين) - الذين جاءوا من الصحراء أن يعودوا إليها ؟! ونسى كاتبو الوثيقة أن لبنان كانت جزءاً من سوريا وبلاد الشام ، وأن الفتح الإسلامي حرَّر بلاد الشام كلها من الرومان منذ أكثر من أربعة عشر قرناً . فهى بلاد إسلامية بلا نزاع . وتدَّعى الوثيقة أن نصارى لبنان لهم أغلبية مقررة . وطبعاً تبعاً لهذه الأغلبية يجب أن يكونوا سادة لبنان ؟!

وهب أنهم - فعلاً - أغلبية - فلماذا تكيل القوى الجبارة فى الغرب المسيحى بمكيالين :

أحدهما : مطفف ، وتكيل به للنصارى فى كل مكان .

والآخر : مبخس ، وتكيل به للمسلمين . فالحبشة يحكمها النصارى وعدد المسلمين فيها أكثر من ٦٥٪ من مجموع سكان البلاد ، فلماذا لم يوضع فى الاعتبار شأن المسلمين فى الحبشة . ويُغَالَى فى نفس الوقت فى شأن النصارى فى لبنان ؟! عجيب والله ؟!

*

* إحياء الحضارات القديمة :

وفى كل بلد إسلامي وطئه الاستعمار ، فإنه ينبش فى ماضيه قبل الإسلام . فإن كانت له حضارة فى ذلك الماضى عمل عملاً جاداً على إحيائها ورصد الأموال ، وأنشأ المعاهد والمتاحف ، واستجلب الخبراء لبعث تلك الحضارة من جديد ، وعرضها فى ثوب قشيب . والهدف هو زعزعة الولاء للإسلام الذى يغمر قلوب ومشاعر المسلمين ... كإحياء الفرعونية فى مصر ، والآشورية فى العراق ، والبربرية فى شمال إفريقيا ، والفينيقية فى فلسطين ولبنان .

وفى مؤتمر المستشرقين الذى عُقد فى جامعة « برنستون » بأمريكا عام ١٩٥٣ والذى تحدَّثنا عنه من قبل . تولى بعض الأعضاء الأمريكيين فى المؤتمر الدعوة إلى إحياء الحضارات السابقة على الإسلام فى البلاد التى فتحها الإسلام تولَّوا تلك الدعوة فى خبث ودهاء .

فقد أشاد الدكتور « ولسون » أحد أعضاء المؤتمر بالحضارات السابقة على الإسلام فى البلاد الإسلامية ، وأهاب بالمسلمين - أنفسهم - أن يُنقِّبوا عن تلك الحضارات وأن يوائموا بينها وبين الإسلام ؟! وزيادة فى الإغراء يقول الدكتور « ولسون » إن نهضة أوروبا المعاصرة مدينة للحضارات القديمة التى أحيتها أوروبا قبيل نهضتها . وبذلك يغرى المسلمين بأن نهضتهم المنتظرة لن تتم

بالحضارة الإسلامية وحدها ، ما لم يبعث كل بلد إسلامى حضارته القديمة فى البلاد الإسلامية ، كما يدعو الدكتور « ولسون » أن يُعهد ببعث الحضارات القديمة إلى الجامعات وليس إلى مصلحة السياحة .. (؟) .

ويتابع عضو أمريكى آخر هو الدكتور « كون » العزف على الوتر نفسه الذى عزف عليه زميله الدكتور « ولسون » . فينحى باللائمة على دولة الخلافة (تركيا) لأنها حالت بين المسلمين وبين الكشف عن حضارات بلادهم القديمة وتاريخها القديم السابق على الإسلام . ويشيد بالفترة التى وقعت بعد سقوط الخلافة حيث اهتم المسلمون بحضاراتهم القديمة . وأن عوناً ملموساً من علماء الآثار فى الغرب قد هيأ الفرصة لتدريب العلماء المسلمين على أن ينهضوا بهذا العبء بأنفسهم . يقول الدكتور « كون » :

« والذى حدث هو أن عالِم الآثار الغربى فى كل دولة من تلك الدول (يقصد مصر ، والهند ، وتركيا ، وإيران ، والعراق ، وليبيا) قد ساعد فى إعداد قانون خاص بالآثار للبلد الإسلامى الذى يعمل فيه ، وأصبح مستشاراً لموظف وطنى عُيِّن من حكومته مديراً لمصلحة الآثار » [1] .

ومما يدعو إلى العجب أن بريطانيا لم تكن تشغلها الحروب التى خاضتها ، والمشكلات الدولية التى كانت تضغط عليها قبل وبعد الحرب العالَمية الأولى ، كل هذه الظروف لم تمنعها أن تملأ الفراغ بالخطة العامة التى تتبع فى كل بلد إسلامى فور وقوعه تحت سُلطة المستعمر . شاهد ذلك أن صك الانتداب الذى أصدرته عصبة الأمم لبريطانيا فى فلسطين ، وضعت فيه مادة خاصة بالآثار والتنقيب عليها ، وهى المادة (٢١) من صك الانتداب المذكور ونصها :

« أن تضع الدولة المنتدبة وتنفذ من السنة الأولى من تاريخ تنفيذ هذا الانتداب قانوناً خاصاً بالآثار والعاديات » (؟!) .

---

(١) الإسلام والحضارة الغربية ص ١٤٠

وهنا نتساءل : إن صياغة المادة تدل دلالة قاطعة على أن عصبة الأمم تجبر الدولة المنتدبة أياً كانت - بريطانيا أو غيرها - فى انتداب أية بلدة إسلامية فلسطين كانت أو غيرها - على أن تهتم الدولة المنتدبة بمسألة الآثار والتاريخ القديم ومنذ السنة الأولى لمباشرة شئونها . إن هذه المادة أشبه ما تكون بالاستمارة العامة لا تدل على أشخاص معينين إلا بعد ملء خاناتها ، فالمسألة - إذن - سياسة عامة للغرب الصليبى ضد الشرق الإسلامي ، وليست مسألة مزاج دولة تنفذه أو لا تنفذه ؟!

إن خصومنا يفكرون بذكاء خارق ، ونظام دقيق ، سواء أكانوا من حملة « الصليب » أو « نجمة داود » أو حتى ملحدين .

وبذلك صار معروفاً لكل دولة تستعمر بلداً إسلامياً ماذا هى فاعلة فيه ؟

الخطة جاهزة ومُعَدة ، والمنفذّون تحت الطلب ، والأموال مرصودة ، والآمال براّقة . وفى حبها كل شئ يهون ؟!

إن قهر أوروبا لقادة الشعوب الإسلامية ، وللشعوب الإسلامية نفسها لم يكن ثمرة ارتجال أو حظ ، بل كان ثمرة دانية القطوف لعمل محكم ، وجهد صادق ، وإصرار عنيد .

فهل أعددنا لعدونا ما أمرنا به قرآننا : ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ .. ﴾ [1] كلا : ولكننا أعددنا لهم ما أحبوا من ضعف . قوتنا بددناها ضد أنفسنا فهُنّا واستكَنّا .. وليس هذا هو خُلق المسلمين ؟!

حذّرنا ربنا فقال : ﴿ خُذُواْ حِذْرَكُمْ .. ﴾ [2] فصرنا أمام أعدائنا « بهاليل » نُضحك الناس ، والعدو آخذ بتلابيبنا ؟! وليس هذا هو خُلق المسلمين .. ثم كان الجزاء من جنس العمل : غفلة أعقبها ضياع ؟!

*

(١) الأنفال : ٦٠ (٢) النساء : ٧١

* شئون المرأة :

لشئون المرأة لغط كثير عند خصوم الدعوة وعملائهم . وسنولى هذا الموضوع عناية خاصة فى موضعه إن شاء اللّه . أما هنا فإننا أوردناه باعتباره وجهاً من وجوه الخطة العامة التى وضعتها القُوَى الأوروبية المعادية فى مواجهة الإسلام . والنقاط التى يثيرها أعداء الإسلام حول شئون المرأة كثيرة منها :

تعليم المرأة - حقها فى العمل - نصيبها فى الميراث - خروجها من البيت - دورها فى البيئة العامة - اختلاطها بالرجال الأجانب - توليها بعض المناصب العامة - شهادتها أمام القضاء - سفرها بدون محرم - حقوقها السياسية - قوامة الرجل عليها ... إلخ .. إلخ .

فكما ترى الموضوع متعدد الزوايا ، ومن الخطورة بمكان . وقد اتخذ أعداء الإسلام ، وعملاؤهم من موضوع المرأة بزواياه المتعددة وسيلة فعّالة لإحداث خلل فى بعض المجتمعات الإسلامية ، وما يزالون يمدون النار بالوقود فى هذا المجال ، وقد حققوا - بلا ريب - نجاحاً واسعاً من مخططاتهم لشئون المرأة .. ثم تولت النظم الحاكمة فى البلاد الإسلامية - إلا قلّة نادرة - تنفيذ الخطط الموضوعة لإخراج المرأة من التأدب بأدب الإسلام ، وأخلصوا كل الإخلاص فى المضى به إلى أقصى غاية مرجوة لخصوم الإسلام . وساندتها وسائل إعلامها وكثير من حملة الأقلام فيها . ووصل التضليل فى هذا الموضوع الخطير إلى درجة وُصفَت فيها المرأة المتمردة على الآداب الإسلامية بأنها « متحررة » و« عصرية » والسيدات اللاتى بدأن يلتزمن بالسلوك الإسلامى وصفوهن بأنهن « رجعيات » ، ويعشن فى « عصر الحريم » كما وصفن بأنهن « مرتّدات جاهلات » ؟! وبهذا صيَّروا المنكر معروفاً ودعوا إليه ؟! وصيَّروا المعروف منكراً ونهوا عنه ؟!

هذه هى ملامح الخطة الموضوعة للتآمر على المرأة والفتاة المسلمة .. وهى خطة ناجحة كما تقدَّم .. وترتب على ذلك مآس ومشكلات وشرور لا حد لها . شقى بها المجتمع ، وشقى بها الأزواج ، وشقى بها الشباب ذكوراً وإناثاً ، وشقى بها الأطفال ، وشقيت بها المرأة نفسها .. أما الذى سعد بهذه الأوضاع فهم خصوم الدعوة وحدهم . وقد قال رب العزة فى كتابه العزيز : ﴿ وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَاءً ﴾ (١) ولكن لم يسمع للّه سامع ؟!

* *

* الفنون والآداب والثقافة العامة :

ونفذ أعداء الإسلام إلى أغراضهم ومطامعهم فى العالَم الإسلامى عن طريق الفنون والآداب والثقافة العامة . فقد تحررت هذه « الروافد » الثلاثة من الالتزام الجاد بتوجيهات الإسلام ، فتحوَّلت من لبنات بناء إلى معاول هدم وتدمير : هدم وتدمير للعقيدة ، وهدم وتدمير للخُلُق والسلوك ، ووضعت عوازل سميكة بين شباب الأمة والهدى الذى بعث اللّه به رسوله ليكون منهج حياة فيما عظم وفيما دَقَّ من شئون الحياة ، ففى ظل الاستعمار تسرَّب إلى العالَم الإسلامى الفن التمثيلى والفن المسرحى ، وخطا المسرح ودور السينما تدريجياً بالشعوب الإسلامية إلى الحياة اللاهية ثم إلى الحياة الفاتنة ، وصارت هذه الدور ملتقىً لعمل الشيطان وضحايا الشيطان ، واستبيحت باسم الفن محرَّمات شرعاً وقانوناً . وهذه الدور كان يمكن أن تقوم بعمل مفيد فى التثقيف والتوجيه لو أعدت لهذا العمل عُدَّته بدءاً من المواد الفنية المعروضة ، ثم الأداء الشريف ولكن شيئاً من هذا لم يحدث إلا فى النادر القليل ، والذى غلب على هذه الدور هو التهافت فى الأداء ، والمتسفل فى المادة المعروضة ، والإسفاف والمجون فى الحركات والأقوال ، والتنافس الدنىء فى الإثارة والإغراء وفتنة المراهقين والمراهقات ، حتى صارت

---

(١) النساء : ٨٩

شاشة السينما وخشبة المسرح منحراً تُنحر عليه الفضائل والقِيَم ، فاختلاط الذكور والإناث من مختلف الأعمار هو اللُحمة والسُدى لهذه الموبقات .

وبالتدريج تحوّل التأليف الفنى لدور السينما والمسرح إلى منفذ لذوى الاتجاهات المنحرفة . فكتبوا وزيّنوا الباطل ، وهجّنوا الحق ، وسخروا من قِيَم الإسلام ، وحرّضوا الشباب على التمرد والتحلل من الفضائل والسلوك الحميد ، وعلّموهم كيف يعشقون ويروون ظمأ عشقهم . وكيف يثأرون ممن يضايقهم أو ينافسهم على ليلاهم ، وتسابق كُتّاب القصة يُلهبون عواطف الشباب بما يصوّرونه لهم من أدب الجنس المكشوف ، أو أدب الفراش كما كان يسميه بعض الأدباء الكبار من الجيل الراحل .

أضف إلى « النتاج المحلى الساقط » للسينما والمسرح معاً تلك النماذج المنحطة من فنون الغرب التى استوردناها وعرضناها على الجمهور من مختلف الثقافات والأعمار . وهى تدور حول مواقف الحب والغرام ، أو العنف والبطش . وظلت الفنون منذ مرحلة مبكرة تهتم بالأدب الشعبى أو « الفلكلور » وهو مصطلح ظهر أول ما ظهر فى أوروبا ثم انتقل إلى بعض بلاد العالَم الإسلامى . ووظيفة هذا « الفلكلور » هى الاهتمام بما يتعلق بعادات الشعوب وتقاليدهم حقاً كانت أو باطلاً . فهو - كما ترى - مظهر ترف فى الفن ، ثم إلهاء عن الجوانب الجادة فى الحياة . وكانت الإذاعة تهتم بهذا النوع وحدها قبل أن ينضم إليها « التليفزيون » ، وحين انضم إليها التليفزيون عَمَّ البلاء وطَمَّ ، وتسلل الفساد إلى كل بيت : تراه العيون كما تسمعه الآذان سواء بسواء . وأصبح لدى كل أسرة فقيرة أو غنية « دار عرض » نشطة لا تتوقف إلا قليلاً خلال الأربع والعشرين ساعة .

ثم اتجه الفن عندنا اتجاهاً كوميدياً يسعى وراء الإضحاك بأى ثمن ؟! ألفاظ مسفة ، أو معان هابطة ، أو حركات « هستيرية » ، أو مظاهر « بهلولية »

ساعات طويلة تمر ، وأموال باهظة تُنفق ، وقِيَم جليلة تموت ، وانحرافات خطيرة تسيطر على الموقف . وإذا نهى ناهٍ ، أو نصح ناصح ، أو نقد ناقد ، قيل له : إننا نروِّح على الجماهير ، ونفرِّج الهموم ونزيح الغموم . ساعة لقلبك ، وساعة لربك . فإذا بالساعات كلها تصبح ملكاً للشيطان ، إلا ما ندر . فلا هى لقلبك ، ولا هى لربك ، ولا خير فى ساعة لقلبك إذا هى أغضبت ربك ؟!

وكانت النتائج أن هذا الفن صار دعوة للاسترخاء والكسل ، ثم دعوة أشد خطورة إلى نبذ الحياء والوقار والعفة ، والتحشم ، وهجر كل ما هو جميل من الآداب والسلوك ودعوة إلى التجرؤ على « الممنوع » ولو كان هذا الممنوع قتلاً لنفس حرَّم اللّه قتلها . أو نهباً لمال خاص أو عام . ثم دعوة إلى تفريغ قلوب الشباب من القِيَم السامية ، والسيرة المهذبة ، ثم الجرى وراء المتع الرخيصة ، والرذائل النكدة ، أو بعبارة أجمع : دعوة إلى الارتماء فى أحضان الشيطان ، ولقطع حاضر الأمة عن سيرة سَلَفها الصالح : ﴿ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُواْ الشَّهَوَاتِ ، فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً ﴾ (١) .

ومما له صلة بالفن والثقافة والأدب معاً ما يُعرف بـ « ألف ليلة وليلة » وما يُعرف بـ « كليلة ودمنة » وقد طبع الأخير فى مصر عام ١٩١٢ ، وكلا الكتابين يقوم على العمل الخرافى الفارغ ، وقد شغل الكتابان كثيراً من الكُتَّاب المسلمين ، وأولوهما عناية فائقة ، وما يزال كتاب « ألف ليلة وليلة » عنواناً لمواد تعرض فى التليفزيون لشغل الناس ، كما كانا مصدر إلهام للتأليف الخرافى الذى يبدأ من فراغ وينتهى إلى فراغ ، وقد منحناه من الألقاب ما يعين على وجوده واستمراره ، فسميناه بـ « الأدب الأسطورى » وهو إذا صلح لأمة فلا يصلح للأمة الإسلامية صاحبة الرسالة الخالدة ، والمهام الجسام التى يجب أن تمارس تأديتها .

---

(١) مريم : ٥٩

فقل لى بربك : ماذا يعود علينا من « على بابا والأربعين حرامى » ومن « مصباح علاء الدين » ؟ سواء أكان مضاءً أو مطفأً ؟!

وباسم الثقافة ترجمنا عن الغرب كثيراً من الأعمال المدمرة ، وياليتنا نقلنا عنهم مصادر العلم والمعرفة العملية التى كانت سبباً فى نهضتهم كما ترجموا هم عن المسلمين مصادر المعرفة الحقة فاستضاءوا بها وهم يأخذون بأسباب النهضة . إننا ترجمنا عنهم أقاصيص الحب والغرام ، وأعمال ذوى النزعة الإلحادية منهم ، أو الساخرين من القِيَم الفاضلة .

والوصف الجامع الذى يعم الآن كُلاًّ من الفن والأدب والثقافة أنها قِيَم لا تخضع لسلطان الدين ولا الأخلاق . وإذا خضعت فلا تكون فناً ولا أدباً ولا ثقافة ، بل وعظ . فهى قِيَم جميلة وجمالها نابع منها وكفى . وقد شبَّه كاتب ماركسى فى مصر يدعى عبد المعطى أحمد حجازى ، وهو من كُتَّاب الأهرام الآن - ١٩٨٩ - راقصات الباليه بأنهن « ملائكيات » - ؟! - يا سبحان اللّه ؟ فمن هم الشياطين يا تُرى ؟

وهذا من قبيل الزيف الذى يسيطر على حياتنا العامة الآن حين نسمى الأشياء بغير اسمها تزييناً لها ، فالممثلون والممثلات نجوم وأقمار وشموس ، ثم هم - كذلك - أبطال مغاوير ، ومن هذا القبيل : « كوكب الشرق » « وسيدة الغناء العربى » و « سيدة الشاشة » و « العندليب الأسمر » و« نجم الكوميديا » ، و« نجوم السينما » ؟!

وقد أثبت الواقع أن معظم هؤلاء « النجوم » و « الأبطال » هم أكثر الناس فساداً وإفساداً ، شمامون ، وتجار مخدرات ، ومديرو شبكات دعارة ؟!

أهكذا تكون النجوم والأقمار والشموس والأبطال ؟!

كلا ، وألف كلا .. ولكن أعداءنا خطَّطوا فأفلحوا ، ونحن إمعات نسير وراء كل ناعق ؟!

*

* الاحتفاء بالمارقين :

ومن الوسائل الفعّالة جداً التى انتهجها خصوم الإسلام للنَيْل من الإسلام : الاحتفاء والحفاوة والتمجيد بكل مارق منحرف فى فكره فهنا يسخو أعداء الإسلام بالثناء ، ويُضفون هالة من البهاء والرونق على صاحب الفكر المنحرف ، لأن ذلك الفكر يحقق لهم أملاً عظيماً ، أو حلماً ساحراً ، ألا وهو : تطوير الإسلام .. ؟!

وتطوير الإسلام عندهم يعنى تفريغه من قيمه وأصوله بوضع بدائل عوضاً عنها تفقد الإسلام أصالته وحيويته ، وأقل ما يوصف به صاحب الفكر المضاد هو أنه « مجدِّد » و « مجتهد عبقرى » . فَهِمَ من الإسلام ما لم يفهمه الخلفاء الراشدون ولا الأئمة الأعلام ؟!

والأمثلة على ذلك كثيرة ، منها المعروف المشهور ، ومنها الخفى المغمور ؛ لأن « هالات التمجيد والثناء والتلميع » تأتى على قدر الانحراف . فمَن أوغل فى البطلان ، فهو عبقرى الزمان والمكان ، ومَن تناول منه قدراً يسيراً ، مُنِحَ من التمجيد ما يناسبه .. وهكذا دواليك .

فقاسم أمين ، صاحب كتابى « تحرير المرأة » ، و « المرأة الجديدة » لما ابتدع فيهما بهتاناً من القول وزوراً . ودعا المرأة المسلمة إلى طرح « برقع الحياء » وزيِّن لها التبرج والسفور ، والاختلاط بالأجانب فى كل مكان ، واحتال على صحة دعواه بتزوير فهم النصوص الشرعية ، والاعتماد على الشواذ من الأخبار ، وتهكم برجال الدين المسلمين ، وادَّعى أن مفكرى الغرب أقرب إلى فهم الإسلام منهم . لما صدر عن قاسم هذا الهذيان منحوه لقباً ساحراً ، إنه « محرِّر المرأة » هكذا ، وكأن المرأة العفيفة المصونة من « الإماء » فجاء قاسم أمين وفك رقبتها وأعتقها ؟!

وعلى عبد الرازق أحد خريجى الأزهر فى أواخر القرن التاسع عشر لما أصدر كتابه « الإسلام وأصول الحكم » عام ١٩٢٥ وافترى فيه الكذب على اللّه ورسوله والخلفاء الراشدين ، وادّعى أن الخلافة ليست من الإسلام فى شئ ولا الجهاد ، ولا القضاء ، وحصر وظيفة الإسلام فى العلاقة البحتة بين العبد وخالقه ، وعزل الإسلام عزلاً تاماً عن السياسة ، ولما صدر هذا الكتاب تلقته أوروبا بالرضا والقبول ، ورفعت من قدر صاحبه ، واعتبرته مجدِّداً حقاً وبخاصة أن الكتاب صدر فى الوقت الذى ألغى فيه الكماليون فى تركيا الخلافة الإسلامية إلغاءً تاماً عام ١٩٢٤ وكان وراء الكماليين قوى الغرب الصليبى ، وبخاصة بريطانيا .

وقد تُرجِم كتاب على عبد الرازق إلى عدة لغات إسلامية وأوروبية منها ترجمته إلى اللغة « الأوردية » التى يتكلم بها المسلمون فى الباكستان والأفغانستان ، كما ترجم إلى اللغة « الإنجليزية » .

وقد أشاد بالكتاب كثير من علماء أوروبا . منهم الدكتور « ولفرد كانتويل سميث » مدير معهد الدراسات الإسلامية وأستاذ الدين المقارن بجامعة « ماكجبل » بكندا . أشاد بكتاب على عبد الرازق فى بحث نال به درجة الدكتوراة من جامعة « برنستون » الأمريكية عام ١٩٤٨ وكان موضوعه : « مجلة الأزهر عرض ونقد » .

ففى فصل من البحث كتبه عن الباكستان يحرِّض المؤلف مسلمى باكستان على تطوير إسلامهم كما فعل الكماليون فى تركيا ، فيقول : « إن واجب المسلم إذا كان دينه صحيحاً أن يفسِّره تبعاً لما يعتقد مخلصاً أنه إرادة اللّه ومشيئته فى القرن العشرين » (؟!) .

ثم يقول : « إن باكستان لا تنجح كدولة علمانية إلا إذا اعتقد الناس بأن الدولة الإسلامية هى فى حقيقتها دولة علمانية » (؟!) .

وهنا تأتى المناسبة للإشادة بكتاب على عبد الرازق فيقول المؤلف : « إن نظرية على عبد الرازق فى كتابه « الإسلام وأصول الحكم » تدور حول هذه الفكرة » .

ويطرق المؤلف الحديد وهو ساخن فيشير للباكستانين بأن كتاب على عبد الرازق (العلمانى) توجد منه نسخ بكثرة فى مكتبات الباكستان باللغتين الأوردية والإنجليزية (؟!) .

وفى الجامعات الأمريكية يعتبر كتاب على عبد الرازق أحد المصادر المهمة لدراسة « علم الاجتماع الإسلامى » وقد أصاب الدكتور محمد البهى حين قال فى توجيه هذه الظاهرة ، ظاهرة اهتمام الغرب بكتاب « الإسلام وأصول الحكم » :

« ويأتى تقديمه على هذا النحو ، لا لأنه يعرض فكرة جديدة على الغرب فى الدراسات الإسلامية ؛ بل لأنه صدر من مسلم هو عالِم أزهرى . ومن ذلك ترويج لفكر الكتاب بين الطلاَّب الغربيين ، الذين يدرسون الإسلام ، والشعوب الإسلامية » .

أجل .. لقد أصاب الدكتور البهى - رحمه الله - فأوروبا لم تستفد علماً جديداً من كتاب على عبد الرازق ، فالفكرة التى قام عليها الكتاب فكرة أوروبية أصلاً فهى - إذن - بضاعتهم رُدَّت إليهم .. ! والذى استفادته أوروبا - فعلاً - من كتاب « الإسلام وأصول الحكم » إنما هو « موقف » مؤيد لا علم جديد . فها هو ذا : « قد شهد شاهد من أهلها » وهذا هو الجديد الذى تلقته أوروبا بالتطبيل والتزمير .

ومما يؤكد سوء نيَّة أوروبا أن ردوداً متعددة نقضت مزاعم « الشيخ على » فلم تُقِم لها شأناً ؛ لأن الذى يهمها عن الإسلام هو « الداء » وليس « الدواء » .

*

ونجيب محفوظ أول عربى مسلم يحصل على جائزة نوبل فى شُعبة « الأدب » وجائزة نوبل - كما يدل تاريخها - لا تُعطَى إلا لأصحاب « البدع » الشواذ من المسلمين ، نقول « البدع » ولا نقول « الإبداع » فالكلمتان وإن كانت أمهما

واحدة فليستا هما سواء فى المدلول العرفى . فالبدعة انحطاط وردّة والإبداع أكثر ما يُطلق ، يُطلق على الابتكار النزيه ، فلماذا إذن سخا القائمون على منح جوائز نوبل ومنُّوا بها على الأستاذ نجيب محفوظ ؟

هذا السؤال قد أجاب عليه تقرير « المنح » الذى أعدته اللجنة « المانحة » إنه تقدير واحترام ، بل وتقديس لما كتبه الأستاذ نجيب محفوظ فى « أولاد حارتنا » وهى قصة رمزية سخر فيها المؤلف من الأديان جميعاً ، وكان الإسلام صاحب النصيب « الأوفر » من الغمز واللمز والطعن والتشويه (؟!) .

ومن أجل خروج المؤلف « المحظوظ » على القِيَم والأصول السماوية قررت الحكومة - فى عهد الرئيس « جمال عبد الناصر » مصادرتها منعاً للإثارة لا زوداً عن الإسلام . وكان بعض العلماء البارزين ومنهم الشيخ محمد أبو زهرة رحمه الله ، والشيخ الغزالى أطال الله عمره ، قد كتبوا تقريرات عما ورد فى « أولاد الحارة » من غمز ولمز وسخرية بدين الأمة ، وإنكار « رمزى » للحياة الآخرة . ورفعت تلك « التقريرات » للإدارة العليا فى مصر فصدر قرار المصادرة وحظر النشر والتوزيع . ومات أولاد الحارة - فى مصر - حيناً من الدهر . ثم جاء بعثهم من جديد بمنح المؤلف تلك « الجائزة » المشبوهة . وبُعث معها كل ما كتبه المؤلف وتسابقت دور النشر فى الغرب فى الترجمة والطبع والتوزيع وقامت ضجة صاخبة فى البلاد الإسلامية ، وبخاصة العربية البعض يبارك ويصفق ، والبعض يحذِّر وينذر . وبعد هذا مَن هو المستفيد يا ترى ؟

إن المستفيد الوحيد هم خصوم الإسلام بترويج هذا العمل المدمر للعقيدة والأخلاق معاً .

هذه واحدة . أما الأخرى فهى تشجيع مَن عنده استعداد من الكُتَّاب العرب لينالوا من الإسلام - وعن طريق « الرمز » مثلما نال الأستاذ نجيب محفوظ . وسيحظى مَن عليه الدور بكلتا الحسنيين - أستغفر الله - بل بكلتا السوأيين : سمعة عالَمية مدوية . وثروة دولارية مغرية (؟!) .

ولست أدرى لماذا خطرت على بالى الآن آية من كتاب اللّه . ولكنى أثبتها - هنا - لعل اللّه ذكرنيها لحكمة يعلمها هو ، وهى قوله تعالى : ﴿ فَخَلَفَ من بَعْدهمْ خَلْفٌ وَرِثُواْ الكتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ ، أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الكتاب أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى اللّه إِلا الحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِ ، وَالدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ، أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾ (١)

*

● الانحراف السياسى :

والانحراف السياسى عند أعداء الإسلام مثل الانحراف العلمى والفكرى . وهما متلازمان ؛ لأن الانحراف السياسى العملى تطبيق للانحراف العلمى والفكرى . وهذا هو الذى يفسِّر لنا فى وضوح لماذا مُنِح رئيس الجمهورية السابق « أنور السادات » - نصفاً من جائزة نوبل بعد توقيع معاهدة السلام مع إسرائيل عام ١٩٧٨ .. إن منح الرئيس محمد أنور السادات نصف الجائزة كان تقديراً لدوره الجرىء بانتهاكه أقدس أمانة حمَّلها اللّه إياه ، هى رعاية شئون المسلمين ، والحفاظ على عزة المؤمنين ، وعلى الحرمات التى أوجب اللّه على المسلمين حكاماً ومحكومين أن يرعوها حق رعايتها ، وأن يقدِّموا أرواحهم فداءً لها .

إن هذا « المنح » الذى حظى به الرئيس السادات كان أتفه وأرخص ثمن لانحرافه المزرى ، ولخروجه عن إجماع المسلمين . فقد خاضت إسرائيل ومن ورائها أسيادها : أمريكا ، وإنجلترا ، وفرنسا . أربع حروب ضارية مع العرب . ولم تحقق أهدافها وأحلامها . وفى لحظة انهار الوضع ، وذهب السادات ذليلاً صاغراً ، منكس الرأس ، خفيض الطرف . ذهب إلى تل أبيب ليأخذ أعداء اللّه

---

(١) الأعراف : ١٦٩

والإسلام والوطن بالأحضان . ثم يتحدث إليهم فى « الكنيست » ذلك المكان الذى طالما دُبِّرت فيه المؤامرات ضد الإسلام والمسلمين ، يتحدث إليهم وهم جلوس شامخو الأنوف ، مثلجو الصدور بما وصلوا إليه من غنيمة باردة . وتحطمت الأسوار بين مصر وإسرائيل . وداسوا بأقدامهم القذرة أرض الكنانة مصر التى أعزها الله بالإسلام ، فأذلها السادات بالاستسلام . وارتفعت أعلام إسرائيل الملطخة بدماء الأبرياء من شباب مصر وأطفاله ونسائه وشيوخه ، وبدماء الشعب الفلسطينى ضحية المؤامرات الغربية والنكوص العربى ، وسلبية الشعوب الإسلامية . إن بيتاً واحداً من بيوتات مصر فى اللحظة التى وقف فيها السادات يتحدث إلى قادة إسرائيل لم يخل من شهيد ، أو مصاب بعاهة مستديمة ، أو زوجة قد رُمِّلت أو أطفال قد تيتموا ، أو أم أصبحت وقد افتقدت فلذة كبدها . كل هذا دفنه السادات فى لحظة غلب اليأس فيها على النفس ، وكلَّت الهمم ، وفترت العزائم ، وسرت الهزيمة فى النفوس سريان الدم فى الشرايين .

أجل .. إن السادات كان قد انحرف فغرق ، فأغرق معه مصر (؟!) وأكسب أعداء الأمة مكاسب لا تقدَّر بمال ولو كان بوزن الطور ذهباً (؟!) .

هذا هو السر وراء منحه « نصف جائزة نوبل » ؛ لأنه أمات أمام إسرائيل أكبر وأعظم دولة من دول المواجهة . وتفرَّغت إسرائيل لشعب فلسطين تقذفهم بالقنابل والمدافع والصواريخ وهم فى « مخيماتهم » وما « صبرا » و « شاتيللا » عن الذاكرة ببعيد ؟ ثم تعزل مَن نجا منهم من « القذائف » عن الحياة ، وتمنع عنهم الطعام والشراب حتى أكل بعضهم بعضاً . ثم بالغت فى الإيذاء فتدفن بعضهم وهم أحياء .. ؟!

ولِمَ لَمْ يفكر أعداء الإسلام فى « منح » السادات هذه الجائزة عقيب شنِّه الحرب على إسرائيل فى العاشر من شهر رمضان (السادس من أكتوبر) عام ١٩٧٣ ؟!

إن تشجيع « الخونة » من العرب والمسلمين ، والإشادة بهم من قادة الغرب

وسيلة من أخطر وسائل المواجهة التى تقوم بها أوروبا المعاصرة ضد الإسلام والمسلمين .

خيانة فى الفكر ، خيانة فى السياسة . أية خيانة لمبادىء الأمة فهى عملة رائجة فى سوق الأعداء ؛ لأنها صدع فى صرح الإسلام الشامخ ، وسرطان يفترس قُوَى الأمة من الداخل . فتحقق للأعداء آمالهم مع حقن دمائهم ، وتوفير معداتهم وأموالهم .

* *

* المتمسلم البريطانى :

ومن الأمثلة المعروفة فى هذا الميدان قصة المدعو « سليمان رشدى » الهندى الأصل ، البريطانى الجنسية ، الذى احتمى بدخوله فى الإسلام ليكيد للإسلام من الداخل . فقد أتى هذا الدَّعى الزنيم منكراً من القول وزوراً . بل إنه اقترف الكفر فى رائعة النهار بروايته « الشيطانية » التى انفجرت كأنها بركان عالَمى فى بداية هذا العام - ١٩٨٩ - لأنه سخر من صاحب الدعوة صلى اللّه عليه وسلم ، ومن أمهات المؤمنين زوجات النبى الطاهرات ، ومن أصحابه الأطهار الأبرار ، بل هزىء وسخر من الإسلام كله فى روايته « الشيطانية » تلك . فما كان من بريطانيا إلا أن تكافئه بمنحه جائزة من أرقى الجوائز التى لا تمنحها حكومة صاحبة الجلالة إلا فى الحالات « الممتازة » النادرة ، منحت حكومة صاحبة الجلالة « سليمان رشدى » تلك الجائزة ؛ لا لأنه طبيب عالمى اكتشف دواءً للقضاء على مرض « السرطان » الذى استفحل علاجه على حُذَّاق الطب ، أو اكتشف علاجاً لمرض « الإيدز » المعضل الذى انتشر فى أوروبا لانحرافها « الأصيل » عن هدايات السماء ؛ ولا لأنه مصلح عالَمى أفلح فى إقرار السلام لجميع دول العالم ودعا إلى الوفاق العالمى ونزع التسلح الرهيب فاستجابت له

روسيا وأمريكا وأبطلتا « مفاعيل ترسانتيهما المسلحتين » ولا لأنه .. ولا لأنه . ولكن لأنه سخر من خاتم النبيين ورسالته الخالدة ، بهذا وحده - وهذا وحده كثير - استحق « شيطان الضلال » أن تمجده بريطانيا وتمنحه أرقى جوائزها .

ثم تتسابق دور النَشر فى الغرب لترجمة الرواية الشيطانية إلى مختلف اللغات وطبعها ونشرها وتوزيعها على أكبر نطاق ممكن ، دور نشر أمريكية ، وأخرى فرنسية .. وأخرى .. وأخرى .. فلماذا هذا كله - يا تُرى - الجواب معروف ومفهوم . إنه الكيد للإسلام والتشويش المتعمد الذى يُراد إلحاقه به . ولما خرجت ردود الفعل الهزيلة من بعض العواصم العربية والإسلامية لم تحرِّك لأوروبا ساكناً . فتلك « شنشنة نعرفها من أخزم » كما يقول المثل العربى القديم ، أو « زوبعة فى فنجان » كما يقول المثل الحديث . أو « نسمع جعجعة ولا نرى طحناً » كما يقول المثل الآخر . أى أن هذه الردود إنما هى مجرد أصوات .

ولكن لما صدر قرار المرحوم الخمينى بإهدار دم « سليمان رشدى » هنا تحركت أوروبا فى اتجاهين : أحدهما فرض الحماية المشدَّدة على سليمان رشدى . وتحصينه ضد قرار الخمينى ، والتنقل به من مكان سرى إلى مكان سرى آخر .

أما الاتجاه الآخر فهو التباكى على حقوق الإنسان ، والدفاع عن حرية الفكر والرأى ، ثم التهجم على الخمينى ، لأنه إرهابى خطير .. (؟!) والمؤسف أن كثيراً منا - نحن المسلمين - شاركنا أوروبا فى حملتها على الخمينى . وسمعنا مَن يقول - مشافهة أو كتابة فى الصحف - : كان على الخمينى أن يدعو إلى « الحوار » حول ما جاء فى الرواية الشيطانية بدلاً من الدعوة إلى اتخاذ العنف (؟!) .

وهذا - بلا شك - تخاذل منا . وقياس للأمور بغير مقياسها الصحيح فالعمل الذى قام به « سليمان الضال » ليس فكراً حتى نحاوره فيه ، وإنما

هجوم متعمَد . فمثلاً : اختياره لأسماء زوجات النبى ﷺ لبغيات فى وكر دعارة ، هل نحاور حوله المؤلف ونقول له ما قصدك من اختيار هذه الأسماء ؟!

ومثلاً آخر وصفه لعصر النبوة بعصر الجاهلية ، كيف نحاوره فيه يا ترى ؟!

أنقول له : ماذا أردتَ بالجاهلية التى وصفت بها عصر النبوة يا بروفسير سليمان ؟!

شئ مُرْبِكَ وذى الجلال والإكرام . وهؤلاء الذين نَحَوْا باللائمة على الخمينى الإرهابى قد يكون الذى دفعهم إلى هذا هو الدفاع عن الإسلام وإظهاره بمظهر التسامح . وهذا خطأ محض وقعوا فيه لأن « سليمان رشدى » إن كان مسلماً - حقاً - فقد ارتدّ بروايته الشيطانية . والمرتد المُصِرّ على رِدّته حده القتل فى الإسلام لقوله عليه السلام : « مَنْ بدّل دينه فاقتلوه » ولعمل الخلفاء الراشدين من بعده . ورد الفعل الذى قام به المسلمون فى عواصم الغرب والشرق يعتبر دعوة له للاستتابة . ولكنه لم يتب ؟

وإن كان غير مسلم .. فإن شرط معاملته بالحسنى فى الإسلام أن يحترم ديننا ولا يطعن فيه . فإن طعن فالواجب فى معاملته هو : ما جاء فى قوله تعالى : ﴿ وَإِن نَّكَثُوا۟ أَيْمَـٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ فَقَـٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَـٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴾ (١) .

فما الخطأ الذى وقع فيه الخمينى رحمه الله ؟!

فالتسامح الذى هو سمة الإسلام له مواضع يسود فيها ، وليس منها جنايات سليمان رشدى .. هذا . وقد مضى الخمينى إلى رحمة ربه . ولكن سيبقى ذكره فى التاريخ ، وإن القرار الجرىء الذى اتخذه فى مراحل شيخوخته الأخيرة بإهدار

---

(١) التوبة : ١٢

دم سليمان رشدى هو القرار الذى أرعد فرائص أعداء الأمة قاطبة . وأجبر الأفاعى أن تعود إلى جحورها وهى مسرعة .

الإسلام دين التسامح . نعم . ولكنه ليس مع اللئام المتربصين به الدوائر . التسامح فى الإسلام لين فى غير ضعف . وما جَرُّ الويلات على المسلمين - الآن - إلا لتزرعهم - دائماً - بالتسامح حتى فى المواضع التى أوجب الإسلام فيها الشدة . وهذا سوء فهم للإسلام أورث مسلمى العصر الاستكانة والوهن . فهانوا على عدوهم لأنهم هانوا - أولاً - على أنفسهم . فأغرى ضعفهم أعداءهم عليهم فساموهم أقسى ضروب الخسف والذل والهوان ، وصدق الشاعر الذى قال :

مَـن يهن يسهل الهوان عـــ ـــليه ما لجرحٍ بميتٍ إيلام ؟!

وحسبنا - فى هذا الفرع - هذه الأمثلة .

* *

* القيادات :

ومن الوسائل التى اعتمد عليها خصوم الدعوة : النفوذ إلى أهدافهم فى بلدان العالَم الإسلامى بتولية أشخاص تتوفر فيهم شروط ومواصفات معروفة لهم . فإذا وصلوا إلى مراكز القيادة العليا فى أوطانهم أهلكوا الحَرْثَ والنسل وعاثوا فى الأرض فساداً ، وأحلُّوا قومهم دار البوار ، وليس من المهم أن يعود على خصوم الإسلام نفع مباشر من هذه القيادات . بل يكفى جداً ما يصدر عنهم من تخريب وتدمير داخلى للقِيَم والأخلاق .

ومن أبرز هذه القيادات « كمال أتاتورك » . فقد هيأته القُوَى المعادية للإسلام ليتولى شئون بلاده ويكون هو الآمر المطاع فيها . فماذا حدث من هذا الطاغية اللعين ؟

إن الخسارة التى منى بها الإسلام ليست فى إلغاء الخلافة فحسب ولم تقتصر على تركيا وحدها . الخسارة بالنسبة لتركيا هى أن ذلك الطاغية هَجَّرَ (بتشديد الجيم) الإسلام كله عنها . وشَنَّ عليه حرباً شعواء لم تبق منه شيئاً إلا الإيمان فى القلوب - على خوف من « أتاتورك وملئه » - ونضع بين يدى القارىء واقعتين لما صارت إليه الأخلاق فى العهد « الأتاتوركى » بعد أن صارت تركيا بلداً أوروبياً موقعاً وواقعاً :

بعد إعلان الدستور العثمانى - عام ١٩٠٨ - قال أحد زعماء الحرية فى تركيا (أحمد رضا بك) : « ما دام الرجل التركى لا يقدر أن يمشى علناً مع المرأة التركية وهى سافرة الوجه ، فلا أعد فى تركيا حرية ولا دستوراً » .

وقد وقع ما تمناه « رضا » فنزعت المرأة التركية الحجاب وأطاعت الأوامر الأتاتوركية القاضية بذلك . وكانت هذه هى الخطوة الأولى للشيطان نحو الانحلال .

ثم قال أتاتوركى آخر يدعى « رفقى بك » بعد تحقق السفور والعرى : « ما دامت الفتاة التركية لا تقدر أن تتزوج بمن شاءت ولو كان من غير المسلمين (؟!) بل ما دامت لا تعقد « مقاولة » مع رجل تعيش وإياه كما تريد (؟!) مسلماً أو غير مسلم فإنه لا يعتبر تركيا قد بلغت رقياً » ؟!

فهذا هو التخريب الأخلاقى الإباحى الذى قام به « أتاتورك » ، وقد سبقه ترجمة القرآن إلى التركية ومنع تعليم اللغة العربية فى مدارسها وتنقية التركية من كل أثر للغة العربية ، وكتابة التركية بالحروف اللاتينية ، وإلغاء الخلافة وهجر العمامة وارتداء القبعة ، ولبس الفتاة البنطلونات الضيقة ؟! وإطلاق سراح العلاقات الحرة بين الذكور والإناث .. فماذا أبقى أتاتورك من الإسلام يا ترى ؟ لقد أرضى أتاتروك شياطين الإنس والجن ، وأغضب رب السموات والأرض ، فسلّط الله عليه « نملاً لا يُرى بالعين المجردة » فأكل كبده وأطباؤه محاصرون له

ليقدموا له كل خدمة علاجية ووقائية . ولم يعرفوا أن النمل « السحرى » كان سبب موته إلا بعد أن زهقت روحه : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلا هُوَ .. ﴾ (١) .

أما بالنسبة لغير تركيا .. فإن كمال أتاتورك بعد أن انفرط عقد المسلمين بين يديه . فإن بعض مَن تولّوا شئون المسلمين قد اتخذوا منه « أسوة » وجعلوه مَثَلهم الأعلى فى الجرأة على التخريب والتدمير ، والعبث بقِيَم الأمة العليا . وقد صرّح الرئيس السابق محمد أنور السادات فى أحاديثه التى كان يذيعها من منزله بميت أبو الكوم ، فى إحدى المناسبات الوطنية صرّح بأن « أتاتورك » كان المثَل الأعلى للضباط الأحرار الذين قاموا بالثورة عام ١٩٥٣ (؟!) .

هذا التصريح له خطورته البالغة من رئيس جمهورية أكبر بلد عربى إسلامى ، وله زعامة إسلامية لا تُنكر ؛ لأن الجناية التى جناها « أتاتورك » على الإسلام أخطر جناية عرفها التاريخ الإسلامى . فكيف تتخذ منه الثورة المصرية مثلاً وقدوة ؟!

وكيف يصدر هذا الكلام من رجل كان يوصف بالرئيس المؤمن بل كان مرشحاً من قِبَل « المنافقين » ليكون سادس الخلفاء الراشدين ؟! (٢) .

أليس فى هذا استخفاف بالإيمان ، وعبث بالخلافة الراشدة ؟!

هذا ، وإذا نظرنا إلى الثورة المصرية من جهة أخرى تأكد لنا أنها كانت إعداداً أمريكياً ؛ لأن أمريكا كانت تبحث لها عن وجود فى الشرق الأوسط لتسد الطريق أمام السيطرة الشيوعية عليه ، وجرّبت أمريكا أن يكون مدخلها

---

(١) المدثر : ٣١

(٢) فى صحيفة الأهرام فى ١٩٨١/٨/٢١ نشر خبر يقول : إن مجلس الشعب سينظر فى اقتراح مقدّم له بمنح الرئيس السادات لقب : سادس الخلفاء الراشدين .. ؟! وقد حالت أحداث سبتمبر عام ١٩٨١ دون هذا العبث .

إلى الشرق سوريا ، وتمثّل هذا فى ثورة حسنى الزعيم ، ولكن خاب أملها فاتجهت إلى مصر ، وكان لها عدة لقاءات بالرئيس جمال عبد الناصر قبل قيام الثورة . والهدف من تلك اللقاءات هو البحث عن وسيلة تضمن بها أمريكا تغلغل نفوذها فى مصر عن طريق حركة تطيح بالنظام الملكى الذى كان قائماً قبل الثورة . وكانت نتائج تلك اللقاءات تُسجَّل فى تقارير وتُرسل إلى الإدارة الأمريكية فى ذلك الوقت [١] .

والمعروف أن الثورة المصرية أدارت ظهرها لأمريكا بعد فترة قصيرة من قيامها . ثم ارتمت فى أحضان المعسكر الشيوعى حتى وفاة الرئيس جمال عبد الناصر . وأن علاقتها بالمعسكر الشيوعى كان لها آثار سيئة للغاية على حاضر مصر ومستقبلها .

* * *

(١) انظر : كتاب « لعبة الأمم » ففيه تفاصيل واسعة عن تلك اللقاءات وأماكنها وتواريخها .

obeikandl.com